e-Şarkiyat İlmi Araştırmalar Dergisi/Journal of Oriental Scientific Research (JOSR)
ISSN:1308-9633
Ağustos-2019 Cilt:11 Sayı:2 (24) / August-2019 Volume:11 Issue:2 (24) Sayfa:972-988

دور النحو في التفسير من حيث الكشف عن المعنى خلال نماذج من أحكام القرآن للجصاص

Mustafa Keskin*

الملخَّص

الحمد لله رب العالمين الذي أنزل آخر كتبه بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد الأمين المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيّبين الطّاهرين وأصحابه الغرّ الميامين ذوي العلم والصّدق والتبيين، والتّابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد: فإن هذا البحث المسمى بـ: {دور النحو في التفسير من حيث الكشف عن المعنى من خلال نماذج من أحكام القرآن للجصاص} قد تمت فيه دراسة أحكام القرآن للجصاص لتحقيق العلاقة بين النحو والتفسير من خلال عدة نماذج؛ فقد قال الله تعالى: {إنَّا أنزلناه قرآناً عربياً} (سورة يوسف12/2).

فاللغة العربية هي لغة القرآن الكريم؛ ولهذا ينبغي في تفسير القرآن رعاية قواعد اللغة العربية، وكثير من المفسرين فسروا القرآن من خلال تلك القواعد، ويستند هذا المنهج إلى عصر الصحابة والتابعين . وفي بحثنا هذا تتبعنا أحكام القرآن للجصاص من تلك الناحية فوجدنا أنّ المفسر في كثير من الآيات رجع من خلال تفسيرها واستنباط الأحكام الفقهية منها إلى القواعد النحوية، وقدَّمنا نماذج لذلك تدل على أنَّ المؤلف رجع إلى الأصول النحوية في تفسيره واهتم بها بحيث قدم الاستدلال بالقواعد على الوجوه الأخرى عندما تعدد الوجوه، بينما عرَّفنا علم النحو والتفسير باختصار، وقدمنا نبذة عن حياة المؤلف رحمه الله، وتسهيلاً لاستيعاب البحث وحسب مناهجه تم تقسيمه إلى: مقدمة ومبحثين وخاتمة.

الكلمات المفتاحية :القرآن ، التفسير، النَّحو، الجصاص، أهمية.

TEFSİRDE NAHİVİN ROLÜ: CESSAS'IN AHKÂMU'L KUR'AN ÖRNEĞİ

Öz

Kur'an'ı Kerim'i açık bir Arap lisanıyla indiren âlemlerin Rabbi olan Allah'a hamd olsun. Âlemlere rahmet olarak gönderilen resulü Muhammed'e salat ve selam olsun. İlim ve doğruluk timsali olan pak'u temiz sahabe ve tabiine kıyamete kadar salat ve selam olsun. Allah, cc Kur'an'ı Kerimde *"Biz bu Kur'an'ı Arapça indirdik belki düşünürsün*" (Yusuf,12/2) buyurmaktadır. Bu nedenle tefsir çalışmalarında Arap diline vakıf olmak ve dil kurallarına başvurmak Kur'an'ın sahih bir şekilde anlaşılması konusunda önemli bir yere sahiptir. Birçok müfessir tarafında takip edilen bu metot, kökleri sahabe ve tabiinlere kadar uzanmaktadır. Sehabe döneminden sonar islami ilimlerin teşekkül sürecinde Kur'an'ı anlama ve yorumlama konusunda bir çok alim

Article Types/Makale Türü: Research Article/Araştırma Makalesi
Received/Makale Geliş Tarihi:20/01/2019, Accepted/Kabul Tarihi: 01/09/2019
Doi: 10.26791/sarkiat.515146

* Dr. Öğr. Üyesi, Gaziantep Üniversitesi İlâhiyât Fakültesi, Arap Dili ve Belagatı Ana Bilim Dalı. mustafakeskinhoca@hotmail.com

ORCID ID: https://orcid.org/0000-0002-8508-3479

Arap diline başvurmuştur. Bu alimlerden biri de bu çalışma kapsamında incelenen Cessas tefsiridir. *Bu* çalışmada, müellifin hayatı, ilmi çalışmaları eserleri ele alınmış, nahiv ilminin tanımı ve önemi zikredilmiştir. Sonrasında "Ahkamu'l Kur'an" adlı eser, nahiv-tefsir bağlamında incelenmeye tabi tutulmuştur. Bu çerçevede eserde birçok ayetin tefsirinde dil kurallarına başvurulduğu tespit edilmiştir. Konuya ilişkin bazı örnekler verilerek müfessirin yaklaşımı ortaya konulmaya çalışılmıştır. Bu arada müellifin dil kurallarına dayalı delilleri önemsdiğini tespit edilmiştir. Zira bazı ayetlerin tefsirinde bir kaç delilin zikredildiği yerde önceliği dil kuralına dayalı delile verdiğini müşahede edilmiştir. Çalışma, Giriş, iki bölüm ve bir sonuçtan oluşturulmuştur.

Anahtar Kelimeler: Kur'an, Tefsir, Nahiv, Cessas, Rol

THE ROLE OF NAHIV IN TEFSİR: AHKAMUL QORAN SAMPLE OF CESSAS

Abstract

Praise Allah, the Lord of the Worlds, who has revealed the Koran with a clear Arabic language. Salat and greet to Prophet Muhammad, who is sent to the worlds as a mercy. Salat and greetings to pure companions and their tabiin which is the symbol of knowledge and righteousness until the doomsday. Allah, in the Koran says, "We have written Koran in arabic so that you might think about it" (Joseph, 12/2). For this reason, having an Arabic language and applying the language rules in tafsir studies has an important place in understanding the Koran in a correct way. This method, which is followed by many commentators, its roots stand up to the tabiin and companion. In this study, the author's life and the definition and significance of Nahiv's identity are mentioned. The work "Ahkamu'l Koran" has been subjected to examination in the context of nahiv-tafsir. In this framework, it has been determined that language rules are applied in the interpretation of many verses in the work. Some examples related to the topic have been tried to put forward the commentator's approach. The study was composed of introduction, two chapters and one conclusion.

Keywords: Koran, Tafsir, Grammar, Cessas, Relationship

المقدمة

القرآن الكريم هو الوحي الذي أوحى الله للناس، واختار الله تعالى أن ينزله باللغة العربية، ولم يكن في فهم القرآن أيّة صعوبة عند نزول الوحي؛ لأنَّ الوحي كان بلسان المخاطبين به، وكانوا يفهمونه أحسن الفهم، وقد كانوا أهل فصاحة وبلاغة تنقاد لهم المعاني انقياداً تاماً، وتطاوعهم الألفاظ كلَّما تلفظوا بها، وتساعدهم في ذلك كلِّه لغة تعوَّدوها.

وعندما حصل في تلك الفترة نوع من الصعوبة عند بعض من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، كان الرسول صلى الله عليه وسلم على قيد الحياة، فيفسر ما صعب عليهم ويبين لهم أفصح البيان، ولما انتقل الرسول من الحياة وانتشر الإسلام واعتنقت الأقوام والشعوب هذا الدين بدأ الناس يتفاوتون في فهم الآيات حتى أَّدى ذلك بعض الأحيان إلى الاختلافات والاضطرابات، فبدأ كبار الصحابة مثل عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وعلي بن أبي طالب وعمر ابن الخطاب

وغيرهم يفسرون القرآن ويروون ما سمعوه من الرسول صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك أوصى بعض الأصحاب[1] الناس بأن يراجعوا أشعار الجاهلية لفهم ألفاظ القرآن. وعلى هذا المنوال تطوَّرت الجهود لفهم القرآن. فلم يختر الله "عز وجل" اللغة العربيَّة لتكون وعاءً لمعجزاته وإطاراً لكراماته اعتباطاً، بل عن حكمة وتقدير ودراية وتدبير . فبدأ العلماء يبذلون قصارى جهودهم لينالوا حكمة كلام الله ولطائف المعاني في إطار اللغة العربيَّة وقواعدها مستمدِّين من الرِّوايات والآثار المتعلِّقة بالآيات، وسمي هذا المنهج "بتفسير الدراية"، كما كان هناك منهج آخر يسمي "بتفسير الرواية" الذي يستند بالأولوِّيَّة على الآثار ولا يرجع لغيرها إلَّا قليلاً؛ فتفسير الإمام الجصاص هو من قسم الدراية، وبحثنا في تفسيره أنَّه كيف فسَّر الآيات؛ فوجدنا في كثير من الآيات أنَّه حاول التفسير ضمن القواعد النحوية والأساليب اللغوية؛ حتى إنه اهتم في كثير من الآيات بالجانب اللغوي حيث قدمه على سائر الوجوه.

دور النحو في التفسير من خلال نماذج من أحكام القرآن للجصاص

خطة البحث

يتضمَّن البحث مقدمة ومبحثين وخاتمة.

وفي المبحث الأول التعريف بعنوان البحث ويشمل ما يلي:

1 – النحو لغة واصطلاحاً.

2 – التفسير لغة واصطلاحاً.

3 ـ دور النحو في فهم نصوص القرآن الكريم.

4 ـ التعريف بالمؤلف (الجصاص) مع بيان منهجه في كتابه (أحكام القرآن).

وفي المبحث الثاني: نماذج من دور القواعد النحوية في أحكام القرآن للجصاص من خلال أحد عشر نموذجاً

المبحث الأول

التعريف بعنوان البحث ويشمل ما يلي

1 ـ تعريف النحو لغة واصطلاحاً

كلمة النحو من الألفاظ التي لها عدة معان وقد ذكر النحاة لها سبعة.[2]

أ– القصد: يقال: نحوت الشيء إذا قصدته. وكل شي يممته فقد نحوته.

ب – التحريف: يقال: نحا الشيء ينحاه وينحوه إذا حرَّفه.

ج – الصرف: يقال: نحوت بَصري إلى فلان؛ أي: صرفته إليه.

[1] انظر ابن أزرق نافع، مسائل نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس،محمد أحمد الدالي: قبرص: دار الجفان والجابي،الطبعة الأولى،1413/ 1993:ص،8.

[2] ابن منظور، أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم. ت(711ه) *لسان العرب*. بيروت: دار صادر، 2003، مادة نحا، 310/15.

د – المثل: يقال: الولد نحو أبيه؛ أي: مثله.

هـ – المقدار: تقول: له عندي نحو ألف؛ أي: مقداره.

و– الجهة أو الناحية: مثل: سرت نحو البيت؛ أي: جهته.

ز– النوع أو القسم: تقول: هذا على سبعة أنحاء؛ أي: أنواع.

وقد ذهب جمع من علماء اللغة العربية إلى أن: (القصد) هو أوفق المعاني للنحو وأشبهها بالمعنى الاصطلاحي.

قال ابن دريد:{ ومنه اشتقاق النحو في الكلام كأنه قصده}.[3]

وتبعه ابن فارس(ت395هـ) حيث قال:(ومنه سمي نحو الكلام؛ لأنه يقصد أصول الكلام فيتكلم على حسب ما كانت العرب تتكلم).[4]

واصطلاحاً: عرِّف النحو بتعريفات عديدة ولكن أدقها تعريف الفاكهي (ت 972هـ) إذ يقول: (النحو: علم بأصول يعرف بها أحوال الكلم إعراباً وبناءً).[5] ومن هذا التعريف ندرك أن النَّحو ليس علامات لفظية فقط، بل هو مناط أيضاًح المعنى، وبالإعراب يفهم مراد المتكلم كما ذكر ذلك ابن فارس في موضع آخر: (فأما الإعراب فيه تمييز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين).[6] ولنضرب على ذلك مثالاً : إذا قال قائل (ما أحسن زيد) برفع زيد وبناء الفعل على الفتح كانت(ما) نافية، وكان المراد بالكلام نفي الإحسان عن زيد، وأما إذا قال : ما أحسن زيداً) بنصب(زيداً) كانت(ما) تعجبيَّة وكان المراد بالكلام التعجب من إحسان زيد لانفيه.[7]

ج – تعريف التفسير لغة واصطلاحاً

التفسير لغة: من فسر الشيء يفسره بالكسر ويفسره بالضم فسراً: أبانه، والتفسير مثله. [8] وتطلق على الاستبانة والتوضيح والكشف والتعرية في المحسوسات والمعقولات وإطلاقها على الثاني أكثر.[9]

واصطلاحاً: عرِّف التفسير بتعريفات متعددة جلها مختلف في اللفظ ومتحد في المعنى . ونختار منها تعريف أبي حيان في البحر المحيط حيث قال إنه: "علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب.[10]

---

[3] الأزدي، أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد. تحقيق رمزي منير بعلبكي، *جمهرة اللغة*. بيروت: دارالعلم للملايين1987 م، ط1، ج1/ 575.

[4] القزويني، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي أبو الحسين. تحقيق عبد السلام محمد هارون، *مقاييس اللغة* . بيروت: دار الفكر،غير مؤرخ، مادة نحا 403/5.

[5] الفاكهي، عبدالله بن أحمد . ت(972هـ) تحقيق المتولي رمضان أحمد الدميري، شرح كتاب الحدود في النحو . مصر: دارالتضامن، القاهرة، 1408هـ – 1988م، ط، 1، ص 52.

[6] ابن فارس، *الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها* ، تحقيق مصطفى الشويمي. بيروت: مؤسسة بدران، 1964م، ص 309.

[7] ملَّا جامي، نورالدين عبد الرحمن بن نظام الدين، *الفوائد الضيائية* ، إسطنبول: دار صلاح بيليجى، غير مؤرخ، ص383.

[8] ابن منظور، *لسان العرب*، 55/5.

[9] أثير الدين، ابو عبدالله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي الحياني الشهير بأبي حيان . *البحر المحيط*. بيروت:دار الكتب العلمية،1413–1993،ج9/1/.

[10] أبو حيان، *البحر المحيط*، 1/ 10.

د – أهمية علم النحو في فهم نصوص القرآن الكريم

بعد ما عرَّفنا كلاً من النحو والتفسير على حدة نخلص إلى أن المراد بهذه الكلمات مجتمعة هنا هو : الرابط والصلة الوثيقة بين العلمين، بحيث إنَّ القواعد النحوية تساعد في فهم نصوص القرآن الكريم على الوجه الصحيح بلا لبس، وبها يسلم الكتاب والسنة من عادية اللحن والتعريف . فإنَّ الطالب إذا كان ذا حظ موفور من هذا العلم فإنّه يستطيع السلوك في سبيل العلوم على تنوُّع مقاصدها، والترجيح بين الآراء عند التعارض .[11] وليظهر ذلك جلياً نأتي إلى أهمية علم النحو في فهم نصوص القرآن. لقد أنزل الله كتابه بلسان العرب. وطلب منهم فهمه بهذا الطريق خاصة وقد ورد ذلك في كثير من آيات الذكر الحكيم منها قوله تعالى:{إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون}(سورة يوسف: 2/12). وقال أيضاً: {بلسان عربيٍّ مبين}(سورة الشعراء: 195/26) وقال أيضاً:{ لسان الذي يلحدون إليه أعجميٌّ وهذا لسان عربيٌّ مبين}(سورة النحل: 103/16) إلى غير ذلك من الآيات الدالَّة على أنه بلسان عربيٍّ لا بلسان العجم . فمن أراد تفهُّمه فمن جهة لسان العرب يفهم. ولا سبيل إلى تطلُّب فهمه صحيحاً من غير هذه الجهة . وكل معنى مستنبط من القرآن غير معتمد على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء، لا مما يستفاد منه ولا مما يستفاد به[12]

وقال ابن عطية: إعراب القرآن أصل في الشريعة لأنَّه بذلك تقوم معانيه التي هي في الشرع .[13] فإن تغيُّر الحركة قد يؤدِّي إلى الكفر والعياذ بالله؛ ومثال ذلك لزوم كسر الخاء في قوله تعالى :{هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}(سورة الحديد: 57/3). فلو فتحها لأفضى ذلك إلى الكفر الصريح . ولذا فإن الجهل باللغة العربيَّة وبالنحو خصوصاً سبب البعد عن الفهم الصحيح لكتاب الله وأ ساسُ الضلال والانحراف عن الطريق المستقيم . يقول عبد القاهر الجرجاني(ت 471هـ): وأما زهدهم في النحو واحتقارهم له، وإصغارهم أمره، وتهاونهم به، فصنيعهم في ذلك أشبه بأن يكون صداً عن كتاب الله، وعن معرفة معانيه؛ ذلك لأنهم لا يجدون بدّاً أن يعترفوا بالحاجة إليه، إ ذ كان قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأنَّ الأغراض كامنة فيها، حتى يكون هو المستخرج لها، وأنَّه المعيار الذي لا يبيَّن نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه، ولا ينكر ذلك إلا من نكر حسَّه، وإلا من غالط في الحقائق نفسه وإذا كان الأمر كذلك فليت شعري ما عذر من تهاون به وزهد فيه ولم ير أن يستسقيه من مصبِّه ويأخذه من معدنه، ورضي لنفسه بالنقص،الكمال لها معرض، وآثر الغبينة وهو يجد إلى الربح سبيلا.[14]

وكفى بكلام الإمام عبدالقاهر الجرجاني هذا فيصلاً. وإن سقوط النحو بمعنى سقوط فهم القرآن؛ لذلك تجد أن العلماء قديماً وحديثاً اعتنوا بالنحو وألَّفوا فيه مؤلَّفات متنوِّعة لاسيما التي تعدّ المنهج التطبيقي لقواعد النحو على النص القرآني . ومن تلك الكتب : *إعراب القرآن* للنحاس(ت338هـ)، *ومشكل إعراب القرآن* لمكي بن أبي طالب (ت437هـ)، *والبيان*

---

[11] الطنطاوي، أحمد، *نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة* ،القاهرة:دار المعارف، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، ص ، 9-10:إبراهيم عبد الله رفيده، النحو وكتب التفسير،بنغاز:الدار الجماهرية،1990،الطبعة الثالثة، ص،33-38.

[12] إبراهيم بن موسى بن محم د اللخمي الغرناطي الشاطبي . (ت 790هـ) تحقيق: أبي عبيده مشهور بن حسن آل سلمان . الموافقات. القاهرة: دارابن عفان، 1417هـ 1997م، ج 1/ 66-65 بتصرف يسير.

[13] ابن عطية، محمد عبد الحق الأندلسي،المحرر الوجيز،بيروت : دار الخير،2007/1428،الطبعة الثانية،25/1.

[14] الجرجاني، الإمام عبد القاهر ، تحقيق د. التونجي. دلائل الإعجاز. بيرت: دار الكتاب العربي، ط 1، 1415هـ، 1995م، ج42/1.

في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري (ت328هـ)، *ومعاني القرآن وإعرابه* للزجاج(ت 311هـ) *ومعاني القرآن* للفراء(ت207هـ)، وللأخفش (ت215هـ)، *وإملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن* للعكبري، وكل هذه الكتب مطبوعة ومنشورة ولله الحمد والمنة . ونرى أيضاً أن الواحدي قد اهتم بالنحو في تفسيره *"البسيط"* وكلُّ هذه الكتب مطبوعة ومنشورة ولله الحمد والمنة.

هـ ـ التعريف بالمؤلف الجصاص مع بيان منهجه فيه

أولاً: التعريف بالمؤلف (الجصاص):

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه : هو أبوبكر أحمد بن علي الرازي الحنفي الجصاص .[15] ورد ذكره في كتب الحنفية بلفظ : الجصاص، والجصاص الحنفي، والرازي الجصاص، وأبوبكر الحنفي، وأحمد بن علي، والرازي الحنفي؛ لأن بعضهم يذكر اسمه، وبعضهم الآخر يقتصر على كنيته أو لقبه.[16]وقد وهم من جعل الجصاص غير أبي بكر الرازي بل هما واحد ذكره صاحب تاج التراجم .[17] وأما عن لقبه الجصاص فهو نسبة إلى العمل بالجصة وتبييض الجدران يقال : جصص: الجِصّ والجَصّ بالكسر والفتح، معروف الذي يطلى به وهو معرب . والجصاص من يتخذه مهنة ويعمل به .[18] ولكن لم نطلع في كتب التراجم على أن الإمام الرازي زاول هذه المهنة في حياته ولو لفترة قصيرة.

ولادته ونشأته: ولد الإمام الجصاص بإجماع الكتب التي ترجمت له سنة خمس وثلاثمئة في مدينة الري التى ينسب إليها الرازي وقد مكث فيها حتى بلغ سنه عشرين حيث رحل منها إلى بغداد سنة325هـ.[19]

وفاته: توفي يوم الأحد السابع من ذي الحجة سنة ثلاثمئة وسبعين من الهجرة في بغداد عن 65 سنة بعد عمر حافل قضاه في الإفتاء والتصنيف والتدريس والتعلم، وكان زاهداً ورعاً حيث عرض عليه أن يكون قاضي القضاة، ذلك المنصب الذي كان يجري وراءه العلماء في عصره، فرفض مرتين وكان متواضعاً، وصلى عليه تلميذه محمد بن موسى الخوارزمي(ت 403هـ) وألحده بيده فرحمه الله تعالى رحمة واسعة وجعل الفردوس الأعلى مثواه[20]

ثانيا: التعريف بكتاب (أحكام القرآن) للجصاص وبيان منهجه فيه.

أ- التعريف بالكتاب: يعدّ كتابه هذا ثالث كتاب في أحكام القرآن على مذهب الحنفية، وقد سبقه الشيخ علي بن موسى القمي ت305هـ والإمام أبو جعفر الطحاوي ت321هـ، وقد استفاد من هذين الكتابين.

---

[15] الذهبي، الإمام شمس الدين محمد ابن أحمد بن عثمان . انظر *سير أعلام النبلاء*. (ت 748هـ)، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1422هـ، 2001م، ج341/16.

[16] الجصاص، *أبوبكر أحمد بن علي الرازي الحنفي الجصاص، ومنهجه في التفسير* . د. صفوت مصطفى خليلو فيتش . القاهرة: دارالسلام، 1429 - 2008م، ص45.

[17] قاسم بن قطلوبغا السودوني. ت (879هـ)، تحقيق محمد خير رمضان يوسف. *تاج التراجم*. بيروت: دارالقلم، ،1413هـ -1992 م، ص 97.

[18] السمعاني، أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي . (ت562هـ) تحقيق عبدالله عمر البارودي . *الأنساب*. بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى 1419هـ، ج 63/2 و انظر: الإمام أبوبكر ومنهجه.ص 45.

[19] يراجع في التعريف بمدينة الري الياقوت الحموي. *معجم البلدان*. بيروت: دارالفكر، غير مؤرخ، ج 116/3 – 118.

[20] خليلو فيتش، صفوت مصطفى، *الإمام أبو بكر الرازي ومنهجه في التفسير* ، الطبعة الثانية، القاهرة: دارالسلام، 2008/1429، ص 69: الذهبي، سير أعلام النبلاء 361/16.

موضوع كتاب *أحكام القرآن للجصاص* : واضح من تسميته أنه يبحث في آيات الأحكام ودلالاتها التفصيلية، وما يستنبط منها من أحكام وفوائد فقهية، كما نص عليه نفسه في مقدمة كتابه[21] قدمنا في صدر هذا الكتاب مقدمة تشتمل على ذكر جمل مما لا يسع جهله من أصول التوحيد، وتوطئة لما يحتاج إليه من معرفة طرق استنباط معاني القرآن، واستخراج دلائله، وأحكام الفاظه.

أحكام القرآن ودلائله

وعن تفسير الجصاص يقول الدكتور محمد حسين الذهبي : يعد هذا التفسير من أهم كتب التفسير الفقهي خصوصاً عند الحنفية؛ لأنه يقوم على تركيز مذهبهم والترويج له والدفاع عنه وهو يعرض لسور القرآن كلها، ولكنه لا يتكلم إلا عن الآيات التي لها تعلق بالأحكام فقط .[22] ولكننا بعد التصفح *لأحكام القرآن للجصاص* ندرك أن كتابه، وإن كان أهمّ موضوعاته الأحكام الفقهية، إلا أنه قد يتناول مسائل عقدية عدة في إثبات وجود الله وتوحيده في الآيات التي لها تعلق بها، كما يرد على أتباع الأديان المنحرفة والفرق المارقة والباطلة. كما أنه تعرض في تفسيره للقراءات واللغة والشعر والحديث والجرح والتعديل والتاريخ والناسخ والمنسوخ وأسباب ا لنزول، مما يدل على أن الكتاب ليس مجرد كتاب فقهي، وإن كان الجانب الفقهي هو الأغلب والأكثر .كما يتناول السور والآيات التي ليس فيها أحكام فقهية، وإن لم يكن بإسهاب، ويعقبها بذكر فوائد وفرائد نفيسة. وكتابه هذا يعد من أروع الكتب وأنفسها في أحكام القرآن؛ لأنه يبدو عليه أنه ألفه في أواخر حياته، ويعدّ من زبدة علمه وخلاصة تجاربه.[23]

ب – منهجه في تفسيره

تناول الإمام الجصاص في تفسيره آيات الأحكام مرتّباً لها كما جاءت في سورها مبوِّباً لمسائلها كتبويب كتب الفقه . وأحياناً يقسِّم تلك الأبواب إلى فصول مما يسهِّل التعامل مع كلامه، ويستدل على صحة ما ذهب إليه بالآيات المماثلة في القرآن وبالأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الصحابة والتابعين وأقوال علماء الفقه واللغة والشعر غير مهمل الاستدلال بالنظر والمنطق. كما أنه يذكر كمّاً هائلاً من مسائل الخلاف الفقهية لأعلام الفقهاء، مناقشاً ومرجحاً لها بلغة سهلة عذبة وأسلوب رصين جيد، مميِّزاً أقواله وآراءه في هذه المناقشات بقوله :" قال أبوبكر". هذا وقد بنى منهجه على تسعة أسس كما حكاه الدكتور صفوت خليلو فيتش.[24] وهي:

1- شدة حرصه على تفسير القرآن بالقرآن.

2- جمعه بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي.

3- إفادته من اللغة وعلومها.

4- عنايته الفائقة بالفقه والأحكام.

---

[21] أحكام القرآن 5/1.

[22] الذهبي، محمد حسين. *التفسير والمفسرون*،(ت1977)،(الطبعة غير موجود) القاهرة: دار الحديث، 2012/1422، ج1/ 385.

[23] خليلو فيتش، *الإمام الرازي الجصاص ومنهجه في التفسير* ، ص153-154.

[24] خليلو فيتش، *الإمام الرازي الجصاص ومنهجه في التفسير* ، ص 228 .

5- استعراضه لأهمِّ مسائل العقيدة.

6- تعرضه للكثير من مباحث أصول الفقه وعلوم القرآن.

7- استعانته بأسباب النزول.

8- اهتمامه بالقراءات وتوجيهها.

9- ابتعاده عن الإسرائيليات والموضوعات.

ويمكن أن نزيد بندين هما: شدَّة حرصه على التوفيق والجمع ما أمكن، والتعريف بالمصطلحات الشرعية

مآخذ العلماء على منهجه في تفسيره

ويمكن إيجازها فيما يلي:

1- تاثرُّه بمذهب المعتزلة في بعض المسائل، مثل: نفي حقيقة السحر، ونفي رؤية الله يوم الآخرة في الجنة ونفي كون المال الحرام رزقاً وغيرها، مما أدى ببعضهم إلى القول بميله إلى الاعتزال، قال الحافظ الذهبي بعد ما أثنى عليه : وقيل كان يميل إلى الاعتزال وفي تآليفه ما يدلُّ على ذلك نسأل الله السلامة.[25]

2- شدة تمسكه بل تعصبه أحياناً لمذهبه الحنفي.

3- كثرة استطراداته في مجال التفسير وتناوله لمسائل فقهية جزئية لا علاقة لها بالآيات.

4- حملته على معاوية (ت60هـ) وانتقاده رضي الله عنه من خلال تفسيره.

5- انتقاده لبعض رواة الحديث من غير وجه؛ كانتقاده لسفيان بن عيينة(ت198هـ) بأنه سيئ الحفظ.

6- ذكره لبعض الطرق الضعيفة في مجال التفسير بالمأثور دون التنبيه عليها.

7- حملته على مخالفيه وهجومه اللاذع عليهم أحياناً لاسيما الإمام الشافعي(ت204هـ) رحمه الله تعالى.

ومن أراد الاستزادة من هذه المآخذ بالأمثلة التوضيحية التفصيلية فلينظر في كتاب الجصاص نفسه أو لينظر فيما كتب الدكتوران في ذلك: محمد حسين الذهبي(ت1977م) وصفوت خليلو فتشو.[26]

نستخلص مما سبق إلى أن لكلِّ جواد كبوة ولكلِّ صارم نبوة، ولكلِّ عالم هفوة، وإلا فكتاب الجصاص مفيد في بابه للفقهاء وخاصة الأحناف؛ فقد أفاد وأجاد وأبدع، وكان كتابه عيالاً لمن جاء بعده.

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلَّها كفى المرء نبلاً أن تعدَّ معايبه[27]

---

[25] الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، 341/16.

[26] انظر: الذهبي، التفسير والمفسرون، 2/ 480 وما بعدها; كذلك الإمام الرازي الجصاص ومنهجه في تفسيره، د. صفوت خليلو. ص534 ومابعدها.

[27] نسبه كتاب غرر الخصائص الواضحة لبشار بن برد (ت168هـ)/ الوطواط الوراق . عمان:دار الكتب العلمية، 2008م، 240/1. ونسبه آخرون إلى على بن الجهم(ت249هـ)، والصنوبري(ت334هـ).

المبحث الثانى

دور النحو في التفسير من حيث الكشف عن المعنى من خلال أحكام القرآن للجصاص

نظراً لكون حجم الكتاب كبيراً، وكون الوقت المعدّ للبحث قصيراً، فقد اكتفينا بأحد عشر نموذجاً مقتطفاً من سور القرآن الكريم، ونقول مستعينين بالله:

1 – الأنموذج الأول في بيان القول في البسملة

قال الإمام العلامة الجصاص عند تفسيره لسورة الفاتحة : باب القول في بسم الله الرحمن الرحيم : قال أبوبكر(الجصاص) الكلام فيها من وجوه أحدها معنى الضمير، فنقول: إن فيها ضمير فعل لا يستغني الكلام عنه، لأن حروف الجر كلها بما فيها الباء لا بد أن يتعلق بفعل مذكور أو محذوف، والضمير هنا يفيد معنيين إمَّا خبر .[28] أو أمر؛ فإذا قدرناه خبراً كان المعنى: أبدأ بسم الله، فحذف هذا الخبر وقدر؛ لأن القارئ مبتدئ، فالحال المشاهدة تشير إليه وتغني عن ذكره، وأما إذا قدرناه أمراً كان المعنى ابدؤوا بسم الله . و يحتمل كلا المعنيين كما مرَّ . وفي نسق تلاوة السورة دلالة على أنه أمر وهو قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }(سورة الفاتحة: 4/1) ومعناه: قولوا إياك. كذلك ابتداء الخطاب في معنى قوله : بسم الله. وقد ورد الأمر بذلك في مواضع من القرآن مصرحاً وهو قوله تعالى:{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} (سورة العلق: 1/96) فأمر في افتتاح القراءة بالتسمية كما أمر إمام القراءة بتقديم الاستعاذة. وهو إذا كان خبراً فإنه يتضمَّن معنى الأمر لأنه لما كان معلوماً أنه خبر من الله بأنه يبدأ باسم الله ففيه أمر لنا بالابتداء به والتبرك بافتتاحه، لأنه إنما أخبرنا به لنفعل مثله. ويمكن أن يرجع الضمير لكليهما جميعاً فيكون الخبر والأمر كلاهما مرادين لأنَّ اللفظ يحتملهما[29]

وحاصل كلامه أن الجار وا لمجرور (بسم) لا بدَّ له من متعلَّق حسب المقرَّر في كلام العرب وفي علم النَّحو فمن وظائف أحرف الجر أن تكون وساطة وصلة وعلاقة تربط بين الفعل أو ما يقوم مقامه والاسم، وعلى هذا إما أن يكون ذلك المتعلق مذكوراً في الكلام أو مفهوماً من السياق، لأنَّ حذف ما يعلم جائز. وعليه فإنَّ الجاهل بقواعد النحو قد يختار في تفسير البسملة أو يفسرها على وجه غير مناسب، لأنه لا يدرك أنها متعلقة بمحذوف تقديره : أقرأ أو أبدأ. فإذا ما قدَّرنا جملة خبرية فإنَّها تكون بمعنى إنشائية؛ لأنَّ الله يعلِّم عباده الاقتداء به[30]

2 – الأنموذج الثاني: قوله تعالى:{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ }إلى قوله تعالى {وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ- فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}(سورة البقرة:2/67-73).

وتتجلى أهمية علم النحو في هذه الآيات في أمرين:

---

[28] المقصود بالخبر هنا ضد الإنشاء، وهو ما يحتمل الصدق أو الكذب لذاته وليس خبر المبتدأ، كما هو مقرر في علم البلاغة . التفتازاني، مختصر المعاني،إسطنبول :دار صلاح بيليجي)197 ،ص33.

[29] أحكام القران 5/1 و 6.

[30] لتوضيح معنى البسملة أكثر مع معرفة التقديرات كلها ينظر *تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن* . أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (310هـ) تحقيق وتخريج محمود محمد شاكر، مصر: دار المعارف،غير مؤرخ، 114/1.

أ- أن الواو لا تقتضي الترتيب عند العطف بها كما هو مذهب البصريين . وفي هذا يقول ابن مالك (ت672هـ) في ألفيته: فاعطف بها بـ (واو) لاحقاً أو سابقاً في الحكم أو مصاحباً موافقاً([31]) وعلى هذا فإن قصَّة ذبح البقرة، وإن كانت مقدمة في التلاوة، فإنها مؤخرة من حيث المعنى والحدث.

ب- إن الضمير لا بد له من مرجع يعود إليه وفي ذلك ردٌّ على من زعم بأن قصَّة القتيل سبقت قصَّة ذبح البقرة من حيث النزول؛ لأن الضمير في قوله {فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا} راجع إلى البقرة. فكيف يكون راجعاً إليها ولم يسلف ذكره وليس معهوداً في الذهن. وفي هذا يقول الإمام الجصاص: وقد قيل فيه وجهان: أحدها أن ذكر القتل وإن كان مؤخراً في التلاوة فهو مقدَّم في النزول، والآخر: أنَّ ترتيب نزولها على حسب ترتيب تلاوتها ونظامها وإن كان مقدماً في المعنى؛ لأنَّ الواو لا توجب الترتيب كقول القائل: اذكر إذ أعطيت ألف درهم زيداً؛ إذ بنى داري والبنا ء مقدَّم على العطية، والدليل على أن ذكر البقرة مقدَّم في النزول قوله تعالى: {فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا} فدلَّ على أنَّ البقرة قد ذكرت قبل ذلك ولذلك أضمرت. [32]

3 - الأنموذج الثالث: قوله تعالى: {لاجُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنُّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ } (سورة البقرة: 236/2). والبحث في هذه الآية عن معنى "أوْ". جعل الإمام الجصاص لهذه الآية باباً بقوله : (باب متعة المطلَّقة) وبعد ذكر الآية عقَّبها قائلاً:[33] تقديره: ما لم تمسُّوهن ولم تفرضوا لهن فريضة . ألا ترى أنَّه عطف عليه قوله تعالى :{ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ}(سورة البقرة: 237/2). فلو كان الأول بمعنى : ما لم تمسُّوهن وقد فرضتم لهنَّ فريضة أو لم تفرضوا، لما عطف عليها المفروض لها، فدلَّ ذلك على أنَّ معناه : ما لم تمسُّوهن ولم تفرضوا لهنَّ فريضة . وقد تكون "أو" بمعنى الواو قال الله تعالى { فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً }(سورة الإنسان: 24/76). معناه: ولاكفوراً.

وما ذهب إليه الإمام الجصاص من أنَّ: "أو" في الآية بمعنى الواو، لا غبار عليه وقد ذكر ابن مالك في ألفيته أنَّ "أو" قد تأتي بمعنى الواو حيث قال:[34]

خيّر، أبح ، قسِّم بـ " أو"، وأبهم واشكك، واضرب بها أيضاً نمي

وربما عاقبت الواو إذا لم يلف ذو النطق للبس منفذا

أي إنَّ من معاني "أو" التخير بين شيئين فأكثر، والإباحة بحيث يمكن الجمع بينها، والتقسيم والإبهام، والشك، والإضراب ، وأخيراً أن تأتي بمعنى الواو؛ أي الجمع بين أمرين في الحكم .[35] والذي ليس له إلمام بهذه المعاني المتعددة والمتغايرة قد

---

[31] ابن مالك الأندلسي ، أبو عبدالله محمد جمال الدين بن عبد الله . ت672، تحقيق، سليمان بن عبد العزيز بن عبد الله العيوني . *ألفية ابن مالك في النحو والتصريف لناظمها*. الرياض: مكتبة دار المنهاج، المملكة بدون تاريخ، باب عطف النسق ص 136 رقم البيت 543.

[32] *أحكام القرآن1* /41-42.

[3333] *أحكام القرآن1* /135 وما بعدها.

[34] ابن مالك، *ألفية*، رقم البيتين 551 – 552 ص137.

[35] ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله، *شرح ابن عقيل*،(الطبعة غير مكتوبة) بيروت : المكتبة العصرية، 1409 /1988، ج 213/2.

يخطئ في تفسير الآية فيزعم أنَّ متعة الطلاق تكون في الحالتين على حدة : عدم المساس وتسمية الصداق، وأن لا إثم ولا جناح في عدم الإصداق فيهما مع أنَّ ظاهر الآية التي تليها تخالف ذلك.

4 – الأنموذج الرابع: قوله تعالى: { وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}(سورة البقرة: 237/2). والبحث في هذه الآية عن إعراب كلمة (أَن يَعْفُونَ) ومن المقصود بها؟ قد يظنُّ من ليس له باع طويل في علم النحو أنَّ (إِلاَّ أَن يَعْفُونَ) يراد به الأزواج وهذا غلط كبير، لأنه لو كانوا هم المرادون لقال (إِلاَّ أَن يَعْفُوا) وفي هذا يقول العلامة الجصاص تحت : " باب ذكر اختلاف اهل العلم في الطلاق بعد الخلوة "(... إِلاَّ أَن يَعْفُونَ) المراد به الزوجات؛ لأنه لو أراد الأزواج لقال إلا أن يعفوا، ولا خلاف في ذلك.[36] (والنون في "يَعْفُونَ) ضمير جماعة النساء، والواو قبلها لام الكلمة، لأن الفعل هنا مبنيٌّ، فهو مثل يخرجن ويقعدن. فأما قولك: (الرجال يعفون) فهو مثل النساء يعفون في اللفظ، وهو مخالف له في التقدير؛ فالرجال يعفون أصله يعفوون مثل يخرجون، فحذفت الواو التي هي لام الفعل، وبقيت واو الضمير، والنون علامة الرفع . وفي قولك: النساء يعفون: لم يحذف منه شيء على ما بينا .[37] فالخلاف الحاصل في : هل الأزواج هم المعنيون بالعفو أو الأولياء، إنما مداره على قوله : (أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْ دَةُ النِّكَاحِ)،لا على (أن يعفون).

5 – الأنموذج الخامس: قوله تعالى:{ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ}.{سورة آل عمران:7/3} والبحث فيه عن معنى "الواو" في قوله: {والراسخون} أهي معطوفة للجمع، أو استئنافية ابتدائية؟.

وحاصل كلامه أنَّ الواو في قوله تعالى : {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} إذا كانت للاستئناف (الابتداء) كان معنى الآية : أنَّ الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه وإنما وجه تفضيلهم على غيرهم وتخصيصهم أنهم يؤمنون به ويردون علمه إلى الله، وإذا كانت الواو للعطف والجمع كان معنى الآية : أنَّ الراسخين في العلم يعلمون تأويل بعض من المتشابه برده إلى المحكم وبإذن الله وفتحه عليهم، وإن كانوا لا يعلمون جميعه. وهذا ما رجّحه الإمام الجصاص؛ لأن الأصل في الواو العطف والجمع إلا إذا صرفه صارف . وحسب سياق الآية لا مانع ولا صارف . وبعد البحث والتدقيق يتجّلى أنَّ الخلا ف متعلق أكثر بالمراد بالمتشابه والمحكم المذكورين في الآية، وأنَّ ثمرة ذلك يؤثِّر على الترجيح في كون الواو استئنافية أو عطفية؛ لأنَّ من جعل المتشابه بمعنى علم وقت الساعة كما ورد في سبب نزول الآية، فلا شك أنَّ ذلك مما لا يعلمه إلا الله . ومن جعل معناه الآيات التي لا يظهر معانيها إلا بردها إلى غيرها(المجمل والمفصل) فهذا مما لا شك فيه أن الراسخين في العلم يعلمونها. إذن فالخلاف في الواو يكاد يكون لفظياً، وتعلقه بمعنى المحكم والمتشابه أكثر وأظهر.[38]

6- الأنموذج السادس قوله تعالى:{ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ اَرْبَعَةِ اَشْهُرٍ فَاِنْ فَاؤُ فَاِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }(سورة البقرة:226/2) اقتضى ذلك أمرين من فيء أو عزيمة طلاق لا ثالث لهما، والفيء إنما هو مراد في المدة مقصور الحكم

[36] أحكام القرآن 1/ 150

[37] العكبري، أبو البقاء، عبدالله بن الحسين (ت616هـ)، *التبيان في إعراب القران*. الطبعة الأولى، بدون مكان الطباعة، دار اليقين، 1422هـ / 2001م، ج 1/ 142.

[38] انظر: *أحكام القرآن للجصاص2*/283، وتفسير الطبري202/5.

عليها، والدليل عليه قوله تعالى: {فَإِنْ فَاؤُ}. والفاء للتعقيب يقتضي أن يكون الفيء عقيب اليمين،لأنه جعل الفيء لمن له تربص أربعة أشهر، فصار التقدير فإن فاؤوا فيها...[39] وأيضاً فإنَّ قوله تعالى: {فإِنْ فاؤا} فيه ضمير المولى المبدوء بذكره في الآية له تربص أربعة أشهر . ومن هنا يتبين أيضاً أنَّ المؤلف تطرق في تفسير الآية إلى معنى أداة العطف(الفاء) حسب ما بينه النحاة في كتبهم.[40]وعند تفسير الآية نرى المؤلف قد أطال الكلام حول هذا الموضوع، وكلامه كله يتمحور على الأصول اللغوية، كما كان دأبه في كثير من الآيات وذلك من عنايته باللغة

7- الأنموذج السابع: قوله تعالى:{وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضٰى اَوْ عَلٰى سَفَرٍ اَوْ جَاءَ اَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ اَوْ لٰمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِ ۪يدًا طَيِّبًا} {سورةالنساء،43/4} وعند تفسير هذه الآية يقول الجصاص : وقوله تعالى: { أَوْ جَاءَ اَحَدٌ مِنْكُمْ مِ نَ الْغَائِطِ} فإن أو ههنا بمعنى الواو . تقديره {وإن كنتم مرضى} وذلك راجع إلى المريض والمسافر إذا كانا محدثين ولزمهما فرض الصلاة . وإنما قلنا إن قوله تعالى : {اَوْ جَاءَ اَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ } بمعنى الواو؛ لأنه لو لم يكن كذلك لكان الجائي من الغائط ثالثاً لهما غير المريض والمسافر فلا يكون حينئذ وجوب الطهارة على المريض والمسافر متعلقاً بالحدث. ومعلوم أن المريض والمسافر لا يلزمهما التيمم إلا أن يكونا محدثين.[41]في هذه الآية نرى أن المؤلف يتناول معنى أداة العطف "أو" حسب ما ذكره النحاة.[42]

8- الأنموذج الثامن: قوله تعالى:{ يَا اَيُّهَا الَّذ ۪ينَ اٰمَنُوا اِذَا قُمْتُمْ اِلَى الصَّلٰوةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَاَيْدِيَكُمْ اِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَاَرْجُلَكُمْ اِلَى الْكَعْبَيْنِ ...}(سورة المائدة:6/5) بعد أن ذكر المؤلف آراء العلماء حول مقدار المفروض في المسح بدأ يبدي رأيه قائلاً:[43] هذه الآية تقتضي المسح على بعض الرأس، لأنَّ الأداة "الباء" قد وضعت لإفادة المعنى؛ فمهما أمكن استعمالها على فائدة في الجملة لا بدَّ استعمالها فيها بدل أن تكون ملغاة . وهنا يمكننا أن نحملها على معنى التبعيض، حتى نكون قد وفينا الحرف حظه من الفائدة ونجعلها ملغا ة حيث يستوي وجودها وعدمها في الكلام، فإذا لا يجوز لنا الغاؤها . ومع ذلك يستدل المؤلف باستعمال الباء في معنى التبعيض في كلام العرب، وأخيراً يراجع المؤلف إلى الاستشهاد في جواز المسح على بعض الرأس عن جماعة من السلف منهم ابن عمر مما روى عنه نافع أنَّه مسح بعض رأسه، وعن عائشة مثل ذلك. وخلاصة القول كما ذكرنا: نرى المؤلف قد لجأ في استنباط الحكم الفقهي من الآية أوّلاً إلى القاعدة النحوية من إفادة الباء معنى التبعيض، وثانياً إلى استعمالات العرب وفي النهاية يستشهد بالرواية عن السلف . وهذا يشير إلى مدى اهتمامه بالقواعد النحوية وبدورها في الكشف عن معنى الآيات القرآنية، وأنَّ السلوك والتمشي مع القواعد اللغوية يدلنا على فهم الفهم القرآن فهماً صحيحاً.

9-الأنموذج التاسع: قوله تعالى: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(سورة آل عمران:104) وكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير فرض عين على كل مسلم

---

[39] *أحكام القرآن*، للجصاص 51/2.

40 عثيمين، محمد بن صالح، *مختصر مغني اللبيب* . لابن هشام الأنصاري،الطبعة الأولى، الرياض :مكتبة الرشد، 1427/2006،ص65-66.

[41] *أحكام القرآن*، للجصاص، 4/ 3.

[42] ملَّا جامي، *الفوائد الضيائية*، 404-405

[43] *أحكام القرآن*، للجصاص ، 344/3.

وإذا كانت(مِنْ) للتبعيض كان معنى الآية : (ولتكن منكم طائفة أو جماعة)، وكانت الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية . وهذا ما اختاره الإمام الجصاص حيث أورد هذه الآية تحت باب فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثم قال: قد حوت هذه الآية معنيين؛ أحدهما: وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والآخر: أنه فرض على الكفاية وليس بفرض على كلِّ أحد في نفسه إذا قام به غيره لقوله تعالى: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ} وحقيقته تقتضي البعض دون البعض فدلَّ على أنَّه فرض على الكفاية إذا قام به بعضهم سقط عن الباقين.[44] وفي هذه الآية نرى المؤلف أنَّه لجأ إلى اللغة في استنباط الحكم من الآية، حيث استدلَّ على كون الجهاد فرض كفاية بأنَّ لفظة منْ للتبعيض؛ ولهذا لو أتى به البعض سقط عن الباقين.

10- الأنموذج العاشر: قوله تعالى: {وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا اَوْ عَلٰى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ اَيَّامٍ أُخَرَ...}{سورة البقرة: 185/2}. يذكر الجصاص في تفسير الآية : قد دل ما تلونا من الآية على قضاء صوم رمضان متفرقاً، من ثلاثة أوجه، [45] ويذكر ما نحن بصدده من استشهاده على استنباط هذا الحكم الفقهي بقوله :أحدها أنَّ قوله تعالى : {فَعِدَّةٌ مِنْ اَيَّامٍ اُخَرَ } قد أوجب القضاء في أيام غير معيَّنة وذلك يقتضي جواز قضائه متفرقاً إن شاء أو متتابعاً.[46] في هذه أفاد الجصاص إمكان قضاء الصوم في أيام متفرقة مشيراً إلى ما في علم النحو من تعريف النكرة بأنها : عبارة عما شاع من جنس موجود.[47] واستدلَّ الجصاص على هذا الاستنباط بوجهين آخرين غير هذا الوجه، [48] ولكن استدلاله أولاً بالقاعدة النحوية يشير إلى اهتمامه بالأصول النحوية في التفسير. كما هو دأب كثير من المفسرين اللغويين أيضاً.

11 – الأنموذج الحادي عشر: قوله تعالى:{ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اِذَا قُمْتُمْ اِلَى الصَّلٰوةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ اَيْدِيَكُمْ اِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَاَرْجُلَكُمْ اِلَى الْكَعْبَيْنِ }(سورة المائدة:6/5). بنصب(وَاَرْجُلَكُمْ) وخفضها، وفي معنى القراءتين وتوجيههما يقول الجصاص: وذلك لأنَّ قوله: (وَاَرْجُلَكُمْ) بالنصب يجوز أن يكون مرادُه : فاغسلوا أرجلَكم، ويحتمل أن يكون معطوفاً على الرأس فيراد بها المسح وإن كانت منصوبة فيكون معطوفاً على المعنى لا على اللفظ؛ كقول الشاعر : معاوية إننا بشر فاسجح *** فلسنا بالجبال ولا الحديدا.

فنصب الحديد وهو معطوف على الجبال بالمعنى . ويحتمل قراءة الخفض أن تكون معطوفة على الرأس فيراد به المسح، ويحتمل عطفه على الغسل – يعني وجوهكم- ويكون مخفوضاً بالمجاورة.كما قال الشاعر:

فهل أنت إن ماتت أتانك راكب إلى آل بسطام بن قيس فخاطبِ

[44] أحكام القرآن، للجصاص ،315/2.

[45] أحكام القرآن، للجصاص ،258/1.

[46] المصدر السابق،258/1.

[47] ابن هشام،عبد الله جمال الدين الانصاري. *شرح قطر الندى وبل الصدى*. ديار بكر: مكتبة سيدا،1334-2013، ص135.

[48] أحكام القرآن، للجصاص ،259/1-158.

حيث جيء بالخاطب مجروراً بجر الجوار وهو معطوف على راكبٌ وهو مرفوع .[49] وفي تفسير هذه الآ ية ذكر المؤلف وجوهاً أخرى أيضاً ولكن نراه ركز أوَّلاً على الجانب النحوي وجعل يدلل على الحكم الفقهي مشيراً إلى مذهب أهل السنة القائلين بوجوب الغسل للرجلين في الوضوء، ومذهب الشيعة القائلين بالمسح، ويستشهد على ذلك بالأدلة المختلفة. وبعد ذلك يراجع الأحاديث، وفي النهاية يرجح ما قاله أهل السنة – وهو منهم- وخلاصة القول: كل ما ذكرناه سواء في في تفسير هذه الآية أم غيرها مما سبق من الآيات يدل على أن الجصاص قد اهتم بالجانب اللغوي في تفسيره عند استنباط الأحكام الفقهية. وكان للنحو دور عنده في الكشف عن معنى الآيات القرآنيةكما ذكرنا.

الخاتمة

في ختام هذا البحث وصلنا إلى النتائج الآتية:

إن علم النحو والإعراب أساس من الأسس التي يبنى عليها فهم معانى القرآن الكريم، وتوجيه الآيات واستنباط الأحكام الفقهية، والترجيح بين المسائل المتعارضة أحياناً. ومن خلال بحثنا في أحكام القرآن وجد نا المؤلف يفسر كثيراً من الآيات ويوجهها حسب القواعد النحوية، و يهتم بالأدلة المستندة إلى الأصول اللغوية حيث يقدم التوجيه النحوي عند تعدد الوجوه في تفسير الآية . وهذا يعني بأن للنحو دوراً مهماً في التفسير عند الجصاص . ومثالاً على ذلك أتينا بنماذج من تفسيره وم نها قوله في باب متعة الطلاق { إلا أن يعفون }، وأن الزوجات هن المقصودات لا الأزواج، ومثال استنباط الحكم الفقهي كون متعة الطلاق للمرأة التي لم يدخل بها ولم يسمّ لها الصّداق، وأن لا مهر لتلك المرأة، وأن "أو" في قوله {أو تفرضوا لهن }، بمعنى"الواو"؛ أي يلزم من عدم الصداق اجتماع الأمرين. وكما ذكرنا في البحث عدة من النماذج الدالة على دور النحو في أحكام القرآن للجصاص دلالة واضحة على العلاقة بين العلمين .وتركنا الكثير من الأمثلة خوفاً من الإطالة. فمن أراد المزيد فعليه مراجعة أحكام القرآن للجصاص فسيجد فيه الحظ الوفير. وملموصلنا إليه من خلال هذا البحث أن الجهل بأوجه العربية وإعرابها قد يفضي إلى الضلال والبعد عن الفهم الصحيح لكتاب الله – والعياذ بالله – كما حصل لمن زعم أن قوله تعالى :{فانكحوا ما طاب لكم من النساء ..} يفيد إباحة زواج تسع نسوة، مع كون ذلك مخالفاً لوجوه العربية. وقد ذكرنا أنَّ الإمام الجصاص قد بيّن زيغ ذلك ودحضه . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

ابراهيم عبد الله رفيده. النحو وكتب التفسير. بنغاز: الدار الجماهرية، الطبعة الثالثة، 1990.

ابن عطية(ت 514ه). محمد عبد الحق الأندلسي. المحرر الوجيز. بيروت: دار الخير. الطبعة الثانية. 2007/1428.

ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله. شرح ابن عقيل، (الطبعة غير مكتوبة). بيروت: المكتبة العصرية، 1409 /1988.

ابن منظور، أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم لسان العرب. بيروت: دار صادر، 2003.

[49] المصدر السابق،3/349-350.

أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي . تفسير القرآن العظيم . الرياض: المملكة العربية السعودية دار الطيبة،1422- 2002.

أثير الدين ابو عبدالله، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الحياني الشهير بأبي حيان (ت 745هـ). البحر المحيط التفسير الكبير. بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ الطباعة.

الأزدي، أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد(ت 321هـ). بيروت: جمهرة اللغة دار العلم للملايين، 1987.

الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. بيروت: دار الكتاب العربي، 1415. 1995.

الجصاص، الإمام أبوبكر الرازي، أحكام القرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1412 - 1992.

جمال الدين، ابن مالك. أبو عبدالله محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي. ألفية ابن مالك في النحو والتصريف لناظمها. الرياض: مكتبة دار المنهاج المملكة العربية السعودية. بدون تاريخ الطباعة.

الحموي، ياقوت. معجم البلدان. بيروت: دارالفكر، بدون تاريخ الطباعة.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت1977م). سير أعلام النبلاء . بيروت: مؤسسة الرسالة، 1422- 2001.

الذهبي، محمد حسين الذهبي. التفسير والمفسرون. بيروت: دار القلم، 1407- 1987.

الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله أبو عبدالله. البرهان في علوم القرآن. بيروت: دار المعرفة، 1391.

الزمخشري، أبوالقاسم محمود بن عمر . تفسير الكشاف . الرياض: مكتبة العبيكان المملكة العربية السعودية، 1418- 1998.

السمعاني، أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي. بيروت: دار الفكر، 1419.

السودوني، قاسم بن قطلوبغا. تاج التراجم. بيروت: دارالقلم، 1413- 1992.

الصاحبي، ابن فارس في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها. بيروت: مؤسسة بدران، 1964.

صفوت مصطفى خليلو فيتش. الجصاص الإمام أبوبكر الرازي ومنهجه في التفسير. القاهرة: دارالسلام،1429-2008.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير . تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن . مصر: دار المعارف، بدون تاريخ الطباعة.

الطنطاوي، أحمد. نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

عثيمين، محمد بن صالح. مختصر مغني اللبيب. لابن هشام الأنصاري،الطبعة الأولى، الرياض:مكتبة الرشد.

العكبري، أبو البقاء، عبدالله بن الحسين . (ت616هـ)، التبيان في إعراب القران . الطبعة الأولى، بدون مكان الطباعة، دار اليقين، 1422/ 2001.

الفاكهي، عبدالله بن أحمد. شرح كتاب الحدود في النحو. القاهرة: دارالتضامن، 1408 – 1988.

القزويني، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي ابو الحسين. مقايس اللغة. بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ الطباعة.

المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2004 .

ملَّا جامى، نور الدين عبد الرحمن بن نظام الدين. الفوائد الضيائية. اسطنبول: دار صلاح بيليجى، بدون تاريخ الطباعة.

الوراق، بشار بن برد الوطواط.غرر الخصائص الواضحة. عمان/الأردن: بدون تاريخ الطباعة.

Kaynakça

Akberî, Ebü'l-Beka Abdullah b. el-Huseyn. *Et-Tibyan fi İrabi'l-Kuran.* yy: Daru'l-Yakin 2001 /1422.

Beşşar b. Berd, El-Verrak. *Gararü'l-Hasaisi'l-Vadiha.* Amman:/Ürdün: yr. ts.

Cürcanî, Abdulkâhir el-Cürcânî. *Delâilu'l-İcaz.* Beyrut: Daru'l-Kitabi'l-Arabiyyi 1415-1995.

Ebû Hayyan, Esirüddin Muhammed b. Yusuf el-Endülüsi. *El-Bahrü'l-Mühit*. Beyrut: Daru'l-Kutubi'l-İlmiyye 1413-1993.

Ezdî, Ebû Bekir Muhammed b. Hasan b. Dureyd. Beyrut: *Cemheretu'l-Lugati,* Daru'l-İlm lil Melayin 1987.

Fakihî, Abdullah b. Ahmed. *Şerhu Kitabi'l-Hudud fi'n-Nehvi*, Kahire: Daru't-Tedamün 1408-1988.

Hemevî, Yakût. *Mucemu'l-Buldan*. Beyrut: Daru'l-Fikir ts.

İbn Atiyye, Muhammed Abdulahak El-Endülüsî. *El-Muharrer ve'l Veciz.* Beyrut: Daru'l Hayr 1428-2007.

İbn Faris, Ebu'l-Huseyn *e*r-Razi. *Mekayısu'l-Luga*. Beyrut: Daru'l-Fikir ts.

İbn Faris, Ebü'l-Huseyn *E*r-Razi. *Es-Sahibî fi Fıkhi'l-Lügati ve Süneni'l-Arab*. Beyrut: Müessetu Bedran1964.

İbn Hişâm, el-Ensârî. *Muhtasaru Mugni Lebib. Riyad*: Mektebetu Rüşd 2006.

İbn Hişâm, El-Ensârî. *Şerhu Katri'n Neda ve Belli's Seda*. Diyarbekir: Mektebetu Seyda 1334-2013.

İbn Kesir, Ebü'l-Fida İsmail. Tefsiru'l-Kurani'l-Azim. Rıyad: El-Memleketu'l-Arabıyyetu's-Suudıyye. Daru't-Taybe 1422-2002.

İbn Mâlik, Ebû Abdıllah Cemaluddın b. Abdıllah. *El-Elfiyye.* El-Uyuni. Riyad: Mektebetu Dari'l-Minhac Suudi Arabistan ts.

İbn Manzûr, Cemalüddin Muhammed b. Mükrim. *Lisanü'l-Arap*, Beyrut: Daru Sadır 2003.

Kasım b. Katlubga, Es-Sudani. Tacu't-Teracim. Beyrut: Daru'-Kalem 1413-1993.

Mecme'u Luga, El-Arabiyye. *El-Mucemu'l-Vasit*. Kahire: Mektebetu'ş- Şuruk ed-Devliyye 2004.

Refide, İbrahim Abdullah *En-Nahvu ve Kütübü't Tefsir.* Bengaz: Darü'l Cemahiriyye 1990.

Safvet Mustafa, Halil Fiteş. *El-Cessas Ebu Bekr er-Râzi ve Menhecuhu fi't-Tefsir*. Kahire: Darus's-Selam. 1429-2008.

Semanî, Ebû Said Abdulkerim b. Muhammed b. Mansur Et-Temimi. E*l-Ensab.* thk. Abdullah Ömer el-Barîni. Beyrut: Daru'l-Fikir 1414 (h).

Taberî, Ebû Cafer Muhammed b. Cerir. *Tefsir'u Taberi*. Mısır: Daru'l-Mearif ts.

Zamehşerî, Ebü'l-Kâsım. Mahmud b. Ömer. *Tefsiru'l-Keşşaf.* Riyad: Mektebetu'l-Ebikan 1418-1998.

Zehebî, Muhammed Huseyn Ez-Zehebî. *Et-Tefsir ve'l Müfessirun.* Beyrut: Daru'l-Kalem,1987.

Zehebî, Şemsüddin Muhammed b. Ahmed Ez-Zehebî. *Siyeru Alami'n-Nübela*. Beyrut: Müessetu'r-Risale 1422-2001.

Zerkeşî, Bedrüddin Muhammed Bahadır b. Abdillah Ebu Abdillah. *El-Burhan fi Ulumi'l-Kur'an*. Beyrut: Daru'l-Marife 1391 (h).

Molla Cami, Nûrüddîn Abdurrahmân b. Nizâmiddîn Ahmed b. Muhammed el-Câmî. *El-Favaidu'd Diyaiyye.* İstanbul: Salah Bilici Kitab evi ts.

İbn Akil, Bahaüddin Abdullah. *Şerhu İbn Akil*. Beyrut: Mektebetü'l Asriyye 1409 - 1988.